الأسوار

محمد علي الرباوي

سُفُنٌ تَتَسَكَّعُ في أَرْصِفَةِ الميناءْ
لَفَظَتْ من فمها المجنون رجالاً في لَوْن الصحراء .
رِزَماً، رِزَماً تَتْرُكُهُمْ في أَرْضِ الغُرْبة :
هي أرضٌ يحترق الظل الهادىء في ثدييها ،
يحترق الحُبُّ الدّافىء في كفيها الواسعتين
وفي عينيها يحترق الماء ،
لكن سَمَحَتْ لأنوفهم المنفوشه
أن تَتَشَمَّم من تربتها الصُّلْبَه
رائحة الأحباب ورائعة الامطار العَذْبَه .

-●-

أنا لَمْ أَقْطع بحراً ،
لم أركب براً
لكنّي في **فاس** تغربت
وفي أسفلت شوارعها كالكأس تحطمت
وداست أرجل كل الرَّجْلِ زجاجة ذاتي .
هل أحدٌ يا **فاس** بكى وتوجّع من أَلَمِ ؟
ضُمّيني حتى أشعر أن ضلوعي
تتكسر ضلعاً ضلعاً
إني في عينيك تغربت تساءلت مراراً :
ماذا يفصل **وجدة** عن
ربواتك يا **فاس** المغلقة المفتوحة ؟
بينكما حبلٌ من مسدٍ
لا يَتَعَدّى إذ يمتد مدى الآه .
فلماذا هذا البلبل ، لما يلقى بين ذراعيك
كطفلٍ يحلم بالوقد
لا يتشمم عطر الحب
ولا يلمح في أدغالك أوراق الورد
ولا يسمع في شارعك الواسع سقسقة الغَيْم
ولا قهقهة الرعد ؟
فضميني
ضميني حتى أشعر أن ضلوعي
تتكسر ضلعاً ضلعاً،
إني منذ دخلت سراديبك يا **فاس**
أذنت لأنفي أن يسرح في
كل شوارعك المورقة الأشجار
فلم أعثر فيك على رائحة الأحباب
ولا رائحة الأعشاب
ولا رائحة الأمطار .
ما أطول أسوارك يا **فاس** !
وما أكثر أبوابك يا **فاس** !
لماذا حولي تتزاحم هذي الأسوارُ
وتغلق في وجهي هذى الأبوابُ
وتفتح من خلفي
وتليف لغيري الأسوارُ
لماذا ؟
آه لماذا ؟ . . .

-●-

يا سفناً تتسكَّع في أرصفة الميناء
بالله عليك بنفط الصحراء .
لا تغتسلي
أخشى أن تشتعلي .

-● !

يا سفن الفقراء
أعيدي السَّفْرَ العفر إلى قلب **البطحاء**
فربتما فيهم زمر تحمل عني هذا الهم القاتل
أو تحمل هذا الهمَّ القتال معي ،
لا تشتعلي
وأعيدي السَّفْر العفر إلى **فاس**
لعل شوارعها تتأجج حباً
ولعل عيون المارّة بين الفينة والأخرى
تتحوّل أماً وأباً .

-●-

يا سُفُنَ الفقراء انْتفضي
وأعيدي السَّفر ولا تشتعلي .

وجدة (المغرب)